

مرحى للثورة الفلسطينية(*)

سليم الحص(**)

رئيس وزراء لبناني سابق.

- ١ -

الشعب الفلسطيني ثائر منذ أن انطلقت الحركة الصهيونية العالمية لتقتلعه من أرضه وتُلغي هويته وتحرمه من أبسط حقوق الإنسان في وطنه.

أولئك الذين يبشرون بالقيم الحضارية، وفي مقدّمهم الدولة العظمى الولايات المتحدة الأمريكية، التي لا تتوانى عن الدعوة إلى الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في كل أرجاء الدُّنيا، أين هم من حقوق شعب فلسطين الذي شُرِد من دياره وسُلب حقّه في أرضه وجُرد من أبسط حقوق الإنسان؟

كانت للشعب الفلسطيني ثورات، كان منها ثورة العام ١٩٣٦ في وجه الانتداب البريطاني، وكان منها رفضه المُطلق للظلم الذي حلّ به بنتيجة حرب العام ١٩٤٨ المُخزية، التي انتصرت فيها العصابات الصهيونية على جيوش العرب مجتمعة، وكان منها تمردّه على كل مشاريع التصفية لقضيّته العادلة، وكان منها الانتفاضة الأولى ثم الانتفاضة الثانية التي ما زلنا نعيش تجلّياتها داخل الأرض الفلسطينية نضالاً مُشرقاً وصموداً أسطورياً في وجه أعتى قُوّة في الشرق الأوسط مدعومة من أعظم قُوّة في العالم.

لو كانت فصائل المقاومة الفلسطينية جيشاً نظامياً فلسطينياً لدمّرت الدولة العبرية خلال

(*) في الأصل كلمة أُلقيت بمناسبة الذكرى ٤١ لانطلاقة الثورة الفلسطينية، حركة فتح، قصر الأونيسكو بتاريخ ٢٠٠٦/١/٢.

(**) له مؤلفات عديدة منها: نحن والطائفية (٢٠٠٣)؛ للحقيقة والتاريخ: تجارب الحكم ما بين ١٩٩٨ و٢٠٠٠ (٢٠٠١)؛ محطات وطنية وقومية (٢٠٠٢)؛ غُصارة العمر (٢٠٠٤)؛ صوت بلا صدى (٢٠٠٥)، وتعالوا إلى كلمة سواء (٢٠٠٥).

ساعات. أَلَمْ تنتصر إسرائيل على جميع الجيوش العربية مجتمعة ومتفرقة في كل الحروب التي خاضتها مع الجوار العربي في تاريخ الصراع العربي - الصهيوني؟ كانت هناك ومضات من الانتصار سجّلتها جيوش عربية في هذه المواجهات، ولكنها لم تُعمر طويلاً، فسُرعان ما انقلب الانتصار هزيمة، بدليل الحصيلة التي خرج بها العرب بعد حروب الأعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣. وكانت حرب العام ١٩٧٣، التي سجّلت في بدايتها الجيوش العربية انتصارات مُشرّفة، هي المفصل الذي سجّل بداية عصر الهزيمة الذي توجّ باتفاق كمب ديفيد مع الشقيقة الكبرى مصر ثم اتفاق وادي عربة مع الشقيقة المملكة الأردنية الهاشمية التي كان يفترض أن تبقى في موقع القلعة الخلفية للثورة الفلسطينية المتواصلة. وكانت محاولة لثيمة أخرى في اتفاق ١٧ أيار إبّان الحرب اللبنانية القذرة في الثمانينيات من القرن الماضي، ولكن وعي الشعب اللبناني الأبّي كان كفيلاً بإجهاضها. وكان اتّفاق أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية.

إذا كانت إسرائيل قد انتصرت على الجيوش النظامية العربية مجتمعة ومتفرقة، فإنها كانت وما تزال عاجزة عن الانتصار على المقاومة الفلسطينية. إسرائيل لم تنتصر والمقاومة الفلسطينية لم تُهزم، وهي قادرة على الصمود لأجيال وأجيال. عسى أن تنتصر يوماً كما انتصرت المقاومة اللبنانية في يوم من الأيام.

- ٢ -

سَمَوْا اتّفاق كمب ديفيد سلاماً، وكذلك سَمَوْا اتفاق وادي عربة. وما كان في كليهما شيء من السلام، لمجرّد أنّ كليهما لم يحظَ برضا الشعب أو اقتناعه أو اطمئنانه، فلم يُسفر تالياً عن تطبيع للعلاقات بين الكيان الصهيوني وأي من مصر أو الأردن، بدليل أنك لا تجد إسرائيليين يتجولون بحرية في القاهرة أو عمّان، ولا تجد والحمد لله مصريين أو أردنيين يتجولون في تل أبيب، كما لا تجد سِلْعاً إسرائيلية قيّد التداول الحر في مصر أو الأردن، وما غابت لفظة العدو الإسرائيلي عن الخطاب السياسي والإعلامي العربي في كل مكان من الوطن العربي. وظلّ لبنان الأكثر أمانة في مقاطعة الكيان الصهيوني والأكثر وفاءً لقضية العرب المركزية في فلسطين. مع ذلك بتنا نسمع مؤخراً في لبنان، ويا لهول ما نسمع، أصواتاً مُتهافتة على تبرئة إسرائيل من الجرائم المروعة التي ارتكبت في لبنان خلال الأشهر الأخيرة، مُستبقة التحقيقات، مع أن إسرائيل هي المُستفيد الأكبر من حصيلة هذه الجرائم المنكرة، وقد صبّت كلّها، كما لا يخفى على ذوي الفطنة، في مجرى توتير العلاقات بين البلدين الشقيقين لبنان وسوريا، وفي مجرى استعداد قطاعات من الرأي العام اللبناني ضدّ العرب والعروبة، وفي مجرى تحريض بعض اللبنانيين على الشعب الفلسطيني في لبنان واستنفارهم حتى ضدّ قضية فلسطين والعياذ بالله. وكل ذلك يخدم إسرائيل. ولكن قدر لبنان أن يبقى هو خط الدفاع الأول والأخير عن الحق العربي في فلسطين، وقدر الشعب اللبناني أن يبقى الأوفى للشعب الفلسطيني المنكوب.

اتفاق كمب ديفيد لم يكن سلاماً، ولا كان اتّفاق وادي عربة. كلاهما لم يتجاوز حدود التسوية التي أنهت حال الحرب الساخنة. وشتّان بين السلام والتسوية. ففيما التسوية من

شأنها أن تُنهي حال الحرب المسلحة، فإن السلام يتجلى في تطبيع العلاقات على أوسع نطاق ليس على المستوى الرسمي فحسب وإنما أيضاً على المستوى الشعبي، وهذا لن يكون إلا إذا اقترنت التسوية برضا الشعب، الشعب الفلسطيني خصوصاً والشعب العربي عموماً. وهذا لن يكون إلا بتحقيق الحلم العربي بعودة اللاجئين الفلسطينيين، كل اللاجئين، إلى ديارهم في فلسطين، كل فلسطين، أي إلى فلسطين في امتدادها التاريخي ما بين البحر والنهر، ما بين المتوسط والأردن، حيث يجب أن يتعايش العربي واليهودي بسلام.

وإذا كان هذا الحلم يبدو اليوم، في العصر العربي الرديء، بعيد المنال، فمن المفروض أن لا يتخلّى عنه الشعب العربي، في فلسطين كما في بقية الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه، وأن تستمرّ المقاومة الشعبية، وإن سلميًّا، للكيان الصهيوني مهما طال النضال وتفاقم العناء واشتدّت الضغوط الدولية.

التسويات مع الكيان الصهيوني قادمة لا محالة، على الصعيد العربي العام. فليس بين الحكّام العرب من لا يجهر هذه الأيام بالاستعداد لعقد تسوية مع إسرائيل.

- ٣ -

وهذا يشمل المسؤولين في السلطة الفلسطينية، وفي سوريا، وفي لبنان مع ترداد القول إنّ لبنان سوف يكون آخر وليس أول من يُوقّع على صلح مع إسرائيل من العرب، وهذا يعني عدم الاستنكاف عن التوقيع، وإنما، كما بات من المسلّمات، بعد سوريا وليس قبلها.

ويلاحظ، للأسف الشديد، تهالك من جانب بعض الأنظمة العربية في الانفتاح على الدولة العبرية، فنسمع برئيس يُصافح رئيس إسرائيل في إحدى المناسبات، وبوزير خارجية دولة عربية يُصافح وزير خارجية إسرائيل في أحد المؤتمرات، وباستضافة دولة عربية لمؤتمر إقليمي أو دولي يضمّ ممثلين عن إسرائيل، وبعض الدول العربية لم يتوانَ عن استقبال السيّاح من إسرائيل. هذا التهاك المخزي إن لم يكن نابعاً من اقتناعات ذاتية فهو نتاج ضغوط من الدولة العظمى أمريكا التي تدعم الكيان الصهيوني دعماً أعمى وتحميه حتى في اعتداءاته على الشعب الفلسطيني المنكوب في المحافل الدولية.

وقد استفاد المتهاك من هجعة الشارع العربي. أين هو الشارع الذي كان يهبّ انتصاراً للجزائر وسائر دول المغرب في ثوراتها ضدّ الاستعمار، وكان يلتهب انتصاراً لحركة الرئيس جمال عبد الناصر وتحديه لأكبر قوى العالم، وكان يثور دوماً انتصاراً للشعب الفلسطيني في نضاله وذوداً عن قضيّته العادلة؟ هجعة الشارع العربي هذه لا تفسّر لها سوى في ظاهرتين على الأقل: فهي من جهة، ثمرة القمع الذي تمارسه معظم الأنظمة العربية في حقّ شعوبها، وهي من جهة ثانية انعكاس لهُموم يعيشها الشعب العربي في كل مكان بنتيجة الفقر والبطالة وسائر مظاهر التخلف. فلقد علّمتنا التجربة أن الإنسان إذا واجه مشكلة وقضية فإن المشكلة تطغى في نفسه على القضية. لا تسلّ أمّا تبحث عن قوتٍ لطفها كيف تحرّر القدس. فجوابها سيكون: أعطني قوتاً لطفلي.

من هنا قولنا المتكرر أنّ النضال من أجل تحرير فلسطين لا بد أن يتلازم، من جهة، مع التطوير الديمقراطي في الوطن العربي كي تبقى للرأي العام كلمته في كل مجتمع عربي، ومن جهة ثانية مع التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة كي يتحرر الإنسان العربي من ضغط همومه وشُجونه فلا ينصرف عن قضاياها المصيرية.

ولكن الديمقراطية ليست مجرد صندوق اقتراع، كما تشاء الدولة العظمى أن تصوّر إذ هي تتبجح بأنه كان لها الفضل في إدخال الديمقراطية إلى العراق فكانت انتخابات نيابية، وكذلك في فلسطين التي شهدت انتخابات بلدية واستعداداً لانتخابات تشريعية. ونحن لا نرى الديمقراطية في مجرد استحداث صندوق اقتراع. في لبنان نحن نقول إنّ هناك كثيراً من الحرية وإنما قليل من الديمقراطية مع تكرار التجارب الانتخابية نيابياً كما بلدياً.

أمّا في العراق وفلسطين فإننا نُسائل الرئيس الأمريكي: كيف تكون الديمقراطية من دون حرية؟ وأين هي الحرية في ظل الاحتلال؟

- ٤ -

قلنا إن التسويات قادمة لا محالة في وطننا العربي. هذه التسويات سوف تنهي حال الحرب المسلّحة ولكنها لن تأتي بالسلام الحقيقي.

من المُحتم أن تنتهي الحرب وتتواصل المقاومة المدنية السلمية لأجيال وأجيال إلى أن يتحقّق الحلم العربي. والمقاومة السلمية يمكن أن تتخذ شكل التظاهرات والإضرابات والعصيان المدني والمقاطعة على كل صعيد والحملات السياسية والدبلوماسية والإعلامية أو كل ذلك معاً. والمقاومة المدنية السلمية يجب أن لا تكون قاصرة على الشعب الفلسطيني. فهي لن تكون فاعلة أو مدوية ما لم تعمّ الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه. ففلسطين إنما هي قضية العرب المركزية.

من هنا إيماننا بأن الثورة الفلسطينية مستمرة، ولسوف تتواصل على الصعيد العربي الأشمل ولو سلمياً، لسنوات طويلة إلى أن يتحقّق الحلم العربي في إعادة الوحدة إلى فلسطين، وعاصمتها القدس. وعودة اللاجئين الفلسطينيين إليها، بموجب القرار ١٩٤ الصادر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة، بحيث يعيش العربي واليهودي بسلام جنباً إلى جنب.

إننا نرى الحلّ العادل لقضية فلسطين في القرار ١٩٤ الذي يحفظ للاجئين حق العودة وليس في القرار ٢٤٢ الذي يقضي بجلاء القوات الإسرائيلية عن الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧، ذلك لأننا نرى أن قضية فلسطين هي في جوهرها قضية إنسان سُلِبَت حقوقه أكثر منها قضية أرض. إن التركيز على الإنسان وعودة اللاجئين إلى كل فلسطين سيقضي على هوية إسرائيل اليهودية إن عاجلاً أم آجلاً. أما الإصرار على الأرض فكثيراً ما تستغله إسرائيل بلؤمها ودهائها لتجعل من قضية فلسطين مجرد قضية حدود وهي في جوهرها قضية وجود. من هنا فإن أبلغ ردّ على الجدار الإسرائيلي الفاصل هو في التركيز على أن قضية فلسطين هي قضية إنسان وليست مجرد قضية أرض، إنّها قضية وجود وليست قضية حدود.

أحتتم بالتذكير، بما أنتم غير غافلين عنه، وهو أن السلاح الفلسطيني خارج المخيمات لا علاقة له بالثورة الفلسطينية لا بل هو نقيضها. لذا نطالب، كسائر اللبنانيين، بسحب هذا السلاح كلياً، وذلك حرصاً على استمرار أطيّب العلاقات الأخويّة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني.

تحية للشعب الفلسطيني الصامد المناضل، وتحية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وتحية للثورة الفلسطينية المباركة، ورحم الله القائد الفدّ ياسر عرفات، طيّب الله ثراه، وأبقى ذكراه وذكرى شهداء الثورة الميامين جميعاً مصدر إلهام للأمة □

صدر حديثاً

منطقة التجارة الحرة العربية التحديات وضرورات التحقيق

مجموعة من الباحثين



مع بداية عام ٢٠٠٥ سجل العرب أول نجاح لهم في مجال تحرير التجارة بعد مضي ٥٢ عاماً منذ أول خطوة فيه، وبعد مضي ٤٠ عاماً منذ التوجه نحو إقامة منطقة تجارة حرة كخطوة أولى لبناء سوق عربية مشتركة. وهكذا تم تنفيذ ما قرّره قمة ١٩٩٦ من إنشاء «منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى» غافتا (GAFTA) خلال عشر سنوات، جرى اختصارها إلى سبع. وجاءت صفة «الكبرى» لتمييزها عن تلك التي أنجزها مجلس الوحدة الاقتصادية العربية في عام ١٩٧٠. وعلى الرغم من ذلك فإن المنطقة - فضلاً عن إقامتها - تظل قاصرة عن شمول جميع الدول العربية، كما أنها على الرغم من وصولها إلى إزالة الرسوم الجمركية على التبادل التجاري البيني لسلع من منشأ عربي، لا تزال تعاني العوائق غير الجمركية، وهي عادة الأهم في تأثيرها في العلاقات التجارية.

٣٣٨ صفحة

الثلثم: ١٠ دولارات

أو ما يعادلها